

بناية البارود خانة (معلم أثري يستحق التوثيق والاهتمام)

الباحث في التراث

محمد توفيق الفخري

(البارودخانة) او (الباروطخانة) بلسان أهالي الموصل :احدى المعالم التاريخية في المدينة والكلمة باللغة التركية مؤلفة من مقطعين تعني مكان خزن البارود وهي مشيدة على شكل قلعة حصينة وجزء ناتئ من السور الشمالي الغربي لمدينة الموصل، والذي يبدأ من القلعة الكبيرة (باشطابيا) الواقعة على جرف نهر دجلة ثم يستمر السور ليأتي الباب العمادي (الذي اختلف المؤرخون في تحديد موقعه) واستناداً لما يصفه أهلنا لمكانه عندما كانوا يعبرون السور في العهد العثماني متجهين الى قصر جدي الحاج توفيق الفخري والذي هو الأقرب من أبواب سور الموصل وكذلك ما يحدده العامة من الناس فهو يقع في الركن الجنوبي الشرقي من شرطة الأحداث (حالياً) والذي يبعد عن باشطابيا بـ 100 م تقريباً وهو يقع باستخدام الاقمار الصناعية على خط العرض $21.2758^{\circ} N$ وخط الطول $07.2444^{\circ} E$ ويستمر السور ليصل الى بناية البارود خانة التي تقع بين بناية رئاسة جامعة الموصل سابقاً والاعدادية المركزية (المطورة حالياً) ويستمر السور الى باب سنجار الذي تحدده المصادر التاريخية بتقاطع مقتربات الجسر الخامس مع شارع ابن الاثير وموقع (المتوسطة الغربية سابقاً) ثم يتجه السور باتجاه الجنوب الشرقي ماراً برأس الجادة (والبدن) الذي هو الجزء المتبقي من السور (تحت محلة المياسة) و(المحمودين) حتى يصل الى باب البيض ثم باب الجديد ...

وبناءً على اهتمام السيد رئيس جامعة الموصل (لما يختزنه من حب لتراث بلده) فقد اعلمني ان البحث الذي ألقيته في الندوة التي اقامها مركز دراسات الموصل بتاريخ 2007/12/31 تحت شعار (صيانة شواهدنا التاريخية دليل حضارتنا الزاهية) الموسوم (عمائر الموصل التراثية تستصرخ الضمائر الحية لانقاذها) والفقرة الاخيرة منه التي طالبت فيها رئاسة الجامعة الاهتمام (بالبارودخانة) كونها احدى املاكها قد اثار اهتمامه.

كما تمنى عليّ الاستاذ ثامر معيوف بعد نشر البحث المذكور في مجلة مناهل جامعية بعددها (31) ان اقوم بتقديم اضاءة على هذا المعلم المعماري الأثري فقامت بإجراء مقابلة شخصية مع الاستاذ الدكتور (احمد قاسم الجمعة) بتاريخ 2009/1/29 وحصلت منه على بعض المعلومات المهمة التي سترد لاحقاً، كما قمت بمراجعة السيد مدير دائرة التراث والآثار وقسم الهندسة في هذه الدائرة واطلعت على بعض المؤلفات للمؤرخين والمؤلفين في هذا الجانب في مكتبة الدائرة المذكورة وابدى السيد مدير الآثار (السيد مزاحم محمود) استعداداه وأقسام دائرته

الهندسية منها والتراثية بتقديم المشورة الفنية في حالة قيام جامعة الموصل بترميم البارودخانة وانهم أجابوا جامعة الموصل على كتابهم الصادر من مديرية الشؤون القانونية والادارية - الاملاك المرقم 369/28/9 والمؤرخ في 2006/4/27 بأن لا مانع لديهم من القيام بتنفيذ النقاط الواردة فيه وبالبلغة 14 بنداً على ان تنفذ بنفس مواد البناء السابقة .

الا اني أقرر ان هذا المعلم التاريخي المهم لم يحض بالاهتمام اللازم من أي من الباحثين الذين كتبوا في خطط المدينة واسوارها وابوابها ورغم انه الجزء الوحيد الذي بقي محافظاً على هيئته من سور الموصل وانه الجزء الاهم في (المنظومة الدفاعية) عن الموصل حيث كان مخزناً للبارود والمقدوفات (الدانات) المستعملة في المدافع،

و للقصور الفاضح في المصادر التاريخية المطبوعة أو المخطوطة التي ارخت للمدينة ولم تأت على تفصيل هذا المعلم المهم، ولكي استطيع كتابة بحث رصين ، كان لابد لي من زيارة الموقع وتسجيل الملاحظات عنه بالوسائل المتاحة، وحددتُ الموقع من الأقمار الصناعية بواسطة جهاز الهاتف النقال المتطور كما حصلت على صورة للمنطقة بكاملها من الشبكة العنكبوتية (Google) الظاهرة ادناه ، نستطيع من خلالها تحديد مسار سور الموصل الغربي الممتد من باشطابيا والى البارودخانة والى باب سنجار .



كما قمت بأخذ صور متعددة للمعلم التاريخي من الداخل والخارج:



كما قمت بقياس ابعاد المعلم بما يتوفر لدي من اداة مسح بسيطة وما لدي من امكانية هندسية متواضعة و كانت كما يلي:

1. البارودخانة تقع على خط عرض 36.349286° LAT

وخط الطول 43.117438° LON استناداً الى معلومات Google من الشبكة العنكبوتية.



2. البارودخانة مؤلفة من 3 مباني الأول الرئيسي وهو الجزء المهم والذي هو محافظ على هيئته الى حد ما (وأعزي شخصياً سبب بقائه بهذه الحالة الى انه قد شيد في العهد العثماني الاخير مع قدوم البارود وأضيف الى أبنية السور فيما بعد)، فهو حديث نسبياً رغم انه مشيد بنفس مواد بناء السور والقلعة الكبيرة باشطابيا و يرجح الباحث بسام الجلي في مكالمة هاتفية معه ان القلعة المذكورة هي من بناء والي الموصل محمد ابن احمد اينجه البيرقدار (1259هـ - 1843 م) حيث اعتنى بتنفيذ سياسة السلطان محمود الثاني (1808 م - 1839 م) و أنفذ التجنيد الاجباري وشيد تكتات متخصصة لاصناف الجيش: المدفعية، الخيالة و المشاة و انشأ مصنعا للمدافع و القنابل و انتج المصنع نحواً من 80 مدفعا. (و بذلك يكون عمر البناية اقل بقليل من 200 عام)

والمبنى الثاني بطول 12م وعرض 4م وهو عبارة عن غرف بسيطة بطابق واحد ويقع شرق المبنى الرئيسي وقد يكون مخصص لسكن العاملين في البارودخانة وهو متهريء البناء في الوقت الحاضر،

والمبنى الثالث كان مخصص للضباط وضباط الصف لادارة عمل الصادرة والواردة للمهمات العسكرية فالمكان كان مخصصاً (كعينة موقع الموصل) تخزن فيه وتوزع منه البطانيات والملابس العسكرية واحذية الخدمة (البساطيل) والقذور الكبيرة والخيام وقد ازيل هذا المرفق عند بناء مطبعة ابن الاثير وكنا ونحن طلاب في الاعدادية المركزية نشاهد من الطابق الاعلى للاعدادية الحركة الدائمة في البارودخانة والجزئين المذكورين للسيارات وهي تنقل المهمات.

3. المبني الرئيسي مشيد على شكل قلعة حصينة مكعبة الشكل ظاهرياً إلا أنها على شكل متوازي المستطيلات بموجب أبعادها الهندسية، فطول البناية 22م وعرضها 17م (اقل قليلاً أو أكثر قليلاً) ولم استطع ضبط الرقم بسبب وجود دار مشيدة عشوائياً على هذا الضلع وعدم امكانية قياس الضلع الذي يقابله باتجاه الاعدادية المركزية لوجود سياج على الشارع الفرعي ولا يمكن اجراء قياس لوجود مفرزة شرطة وطنية قد يعرض من يقوم بالقياس في المكان الى ما لاتحمد عقباه خاصة اني لم اكن احمل كتاب رسمي للقيام بهذا العمل، فستكون مساحة البناء الرئيسي بحدود 2م374م او اكثر واذا ما اضيف الى هذه المساحة الارض التي بنيت عليها (البغلات) الساندة والبئر و مبنى مخروطي بقطر 2 م و ارتفاع 3م والذي اعتقد انه مزولة شمسية او شيء اخر فتصبح المساحة رقماً اخر.

القلعة مشيدة بالحجارة غير المهندمة وبأحجام مختلفة يتخللها الجص كمادة رابطة وكنا نسمع من أهلنا ومن العامة ان الأبنية من هذا القبيل يستعمل في تشييدها الجص المائل لونه الى الوردي ويسمى (الشداد) ويخلط معه نسبة من النورة ويعجن بالماء وبيض الدجاج أو البط والاوز لتأمين الصلابة ودوام التماسك ومقاومة عوامل التعرية الطبيعية من امطار ورياح وأشعة الشمس وتجمد المياه بين أجزائها والموضوع يحتاج الى تحليل مختبري.

4. للبارودخانة اربعة زوايا مخروطية على شكل أبراج يبلغ محيط الظاهر منها في اسفل البرج 4م عدا الجزء الغاطس منها ضمن الجدران وتستدق عند وصولها سقف المبنى ويوجد أثر واضح لبقايا السور على الركن الشرقي للبارودخانة بسك 4م من الاسفل و 3.30 من الاعلى وبارتفاع 7م.

5. يبلغ ارتفاع البارودخانة 10.50م تقريباً ولا استطيع اعتبار الرقم نهائي حيث اني لم استطع القياس الدقيق من اعلى البناية لوجود الشرطة الوطنية بالقرب من الموقع.

6. تقوم اربعة بغلات (butresses) باسناد الجدار الشمالي الغربي وهي على شكل منشوري بأبعاد 5.50م عند اسفل الجدار وبارتفاع 8م تقريباً عند نقطة التصاقها بالبناية وسك البغلة 1.10م وهي مشيدة من نفس مادة بناء البارودخانة (حجر غير مهندم و جص) وللبناية على هذا الجدار نوافذ عدد 4 بأبعاد 1.70×0.70م للطابق العلوي واثنان مسدودتان بالجص والحجر وفتحتي شبابيك مستحدثة بأبعاد 0.60م×0.45م . كما يظهر في الشكل اعلاه.

7. البناية مسقفة بسقف كونكريتي مستحدث فوق سقفها الاصلي وله استطالة - مانعات افقية (over - hanged) من جميع الجهات بحدود متر واحد.

8. للبناية شبايبك من جميع الجهات مختلفة الاحجام وقد اغلق البعض منها بالجص والحجر.
9. للبارودخانة سلم من الجص والحجر واحد من الجهة الجنوبية الشرقية للصعود الى سطحها.
10. للبناية مدخل مقنطر واحد في منتصف الضلع الجنوبي الشرقي عبارة عن قنطرة مؤلفة من دعامتين على الجانبين بارتفاع 2.20م من المرمر مع قوس دائري من المرمر ايضاً يبلغ ارتفاع المدخل الى اعلى نقطة فيه 3.20م وبعد مسافة متر واحد من القنطرة يأتي باب المدخل وهو مشيد من المرمر بارتفاع 2.77م الى اعلى القوس في حين يبلغ ارتفاع الدعامتين 1.88م وعرض المدخل 1.99م
11. يفضي الباب الى ممر بطول 14.40م وعرض 3.68م وارضه مفروشة بقطع المرمر الازرق مختلفة الأحجام ومصقولة وهي بحالة جيدة جداً ولا تحتاج الى تبديل ، وفي نهاية الممر سلم حجري مغطى بالمرمر يفضي الى الطابق العلوي من البناية في حين يوجد مدخلين جانبيين على اليمين واليسار يبدآن من جداري المدخل بمسافة 2.45م المدخلين يفضيان الى قاعتين يمينى ويسرى وارتفاع باب كل مدخل 2.50م وطول الدعامة المرمرية 1.90م وعرض الباب 1.47م.
12. يفاجأ الداخل الى البناية بعدم وجود أي شيء يوحي بوجود السرداب الذي نوه عنه الاستاذ الدكتور احمد قاسم الجمعة في مقابله الشخصية مع الباحث بتاريخ 2009/1/29 حينما قال ان بناية البارودوخانة تتألف من ثلاث طوابق السرداب و يعلوه الطابق الارضي ثم الطابق العلوي وحينما يشرح الاستاذ احمد قاسم الجمعة فانه يتكلم عن خبرة شخص زار المكان حيث انه يتذكر ان المكان كان مشغولاً من قبل وحدة عسكرية، آخر أمر لها هو العقيد المرحوم عبد الله فتحى ، وقد يكون ان السرداب قد ردم في وقت لاحق على زيارة الاستاذ الدكتور احمد قاسم الجمعة للمعلم التاريخي.
13. طول الطابق الارضي 19.50 م فيكون عرض الأساس 1.25م او اكثر.
14. عرض الطابق الارضي 13.60م فيكون عرض الأساس 1.70م أو اكثر ويكون عرضها من الخارج 17م هو القياس الصحيح تقريباً.
15. طول القاعة الشرقية على يمين المدخل 14.40م وعرضها 6.90م يتوسطها 5 دعامات متوازية المستطيلات من المرمر كل منها قائم على قاعدة من الجص والحجر بارتفاع 0.37م وأبعاد الدعامة 0.60م × 0.75م وارتفاعها 2.14م حتى بداية القوس الذي على شكل نصف دائرة والمبني بقطع من المرمر الازرق والعقد

عبارة عن نصف كرة من الجص والحجر، وللقاعة ثلاثة دعائم مرمر على كل جهة من الجهات يدخل جزء منها في بناء الجدار الشمالي الشرقي وبناء الممر في حين تبقى اطراف القاعة الغربية والجنوبية منها بدون دعائم والمسافة بين دعامة واخرى بتسلسل 3.80 م و 3.80 م و 2.88 م و 3.12 م فيكون للقاعة 11 دعامة.

16. القاعة التي على يسار الداخل في الممر هي بنفس ابعاد القاعة على يمين الممر تقريبا.

17. نصح الى الطابق الثاني بدرج مشيد من الجص والحجر وبقايا فرش متهرئ ويتفرع الى فرعين ايمن وايسر من الدرج لنصل الى الطابق الثاني للبارودخانة وهو يشابه الطابق الاول من ممر وقاعتين عدا اختلاف بسيط في الابعاد وهي كما يلي : طول البناية 20م والعرض 15.50م واعتقد ان سبب الفرق بين الطابق الثاني والطابق الاول يعود الى سمك الجدار من كل الاتجاهات فان سمك الجدار اسفل شبابيك ممر الطابق هي بحدود متر.

18. أبعاد القاعة الشرقية هي بطول 14.97م عرض 7.20م والقاعة الاخرى على يمين الصاعد للطابق الثاني هي بأبعاد 15م وعرض 7.80 وقد يكون الفرق بين أبعاد القاعتين بسيط جداً. لكل قاعة من القاعتين ثلاثة شبابيك بأبعاد 1.75م×0.50م وشباك الممر باتجاه الجنوب الشرقي بارتفاع 1.70م وعرض 0.80م. وسمك الجدار يزيد قليلا عن المتر الواحد.

ان كل ما جاء أعلاه من تفاصيل لا تفي بتوثيق مثل هذا المعلم المهم وان ما جاء بكتاب رئاسة الجامعة/الأملك لا يستند الى واقع هندسي صحيح ابتداءً من عدم وجود ذكر للسرداب وتنظيفه كخطوة أولى في الترميم، كما جاءت بعض الفقرات غير مدروسة دراسة واقعية فمثلاً ورد في الفقرة 5 منه تغليف ارضيات الممر في الطابق الاول بالفرش في حين ان الفرش المرصوف هو بحالة جيدة ولا اعتقد بأن هناك امكانية لتبديله بأحسن من نوعية الموجود ، وكذلك ما جاء في الفقرة 12 والتي ورد فيها تغليف (البيجة البارزة) ويقصد بها (over-hanged) او المانعات الافقية للسقف الكونكريتي الأعلى حيث لا حاجة لهذا التغليف اضافة الى صعوبة عمله وضمان بقائه في محله مدة طويلة ، كما لا يوجد شيء يسمى بالمزاريب في البارودخانة حتى يتم تصليحها وعليه اقترح على رئاسة جامعة الموصل تشكيل لجنة من القسم الهندسي في الرئاسة وقسم الهندسة المعمارية في كلية الهندسة ليقوم القسم المذكور بتكليف طالب ماهر ليصمم رسماً هندسياً متقناً كمشروع تخرج او يكلف احد الأساتذة البارعين في الرسم الهندسي باعداد رسم للمعلم كمشروع بحث ترقية علمية، وتقوم اللجنة بضم جهدها الى جهود القسم الهندسي في دائرة اثار

وتراث نينوى لما لهم من خبرة في ترميم المعالم الاثرية ومراقبة متعهد الترميم باجراء الترميم بالمواد المناسبة والأبعاد الصحيحة للمعلم التراثي حيث ان المقاولين غير منضبطين بما يكفي لاجادة الترميم، وقد وجدت خللاً فاضحاً في عمل متعهد ترميم مرقد الامام عون الدين والتي اعترض على تفاصيلها القسم الهندسي في دائرة الآثار،



كما اقترح ان تقوم رئاسة الجامعة بمفاتيحة منظمة اليونسكو او مؤسسة الآغا خان الخيرية او السفارة التركية وعن طريق وزارة التعليم العالي بالطرق والقنوات الدبلوماسية للقيام بالصرف على ترميم هذا المعلم الاثاري ،حيث ان الدكتورة اعتماد القصيري التي تعمل في الهيئة العامة للآثار والتراث العائدة الى وزارة الدولة لشؤون السياحة والآثار قد بينت لي في زيارتها للموصل قبل شهر بأنهم فاتحوا السفارة التركية في بغداد وحصلوا على مبالغ وافية لترميم (بيت الوالي) في بغداد . وبامكان رئاسة الجامعة توفير مبالغ الترميم من هذه الهيئات من دون تكليف الدولة وتوفير هذه المبالغ الى أعمال معمارية اخرى.

ملاحظة البحث نشر في مجلة مناهل جامعية العدد 32 اذار 2009